تحليل للمقام الجليل للسيّدة حكيمة عليها السلام
ودورها في المسائل الأمنيّة والسياسيّة لقاعدة الإمامة

د. محمّد حسن الحيدري

الملخّص: يريد المؤلّف في هذه المقالة أن يتحدّث عن عظمة مقام السيّدة حكيمة، بنت مولانا الإمام الجواد عليه السلام ، و منزلتها في رحاب الإمامة و في بيت أخيها مولانا الإمام الهادي عليه السلام في مدينة سامرّاء المقدّسة. هذه المرأة الجليلة الّتي تحمّلت أعباء دور خطير في ظروف عصيبة وحفظت – أرقى ما يكون الحفظ و أشدّه – أسرار و ودائع الإمامة، و أدّتها إلى الإمام العسكريّ والإمام المهدي سلام الله عليهما، كما أحسنت أداء المسئوليّة في الصّلة الموثوقة الأمينة بين الأئمّة المعصومين وشيعتهم. و قد اعتمد المؤلّف مصادر حديثيّة معتبرة و كتباً تاريخيّة صحيحة كما أعمل التّحقيق الرصين في السّيرة الفرديّة والاجتماعيّة للسيّدة حكيمة رضوان الله عليها.

الكلمات المفتاحيّة: السيّدة حكيمة؛ سامرّاء؛ الإمام الجواد عليه السلام – أولاد؛ الإمام الهادي عليه السلام – عصر إمامته؛ الإمام العسكري عليه السلام – عصر إمامته؛ الإمام المهديّ عليه السلام؛ تحليل الحقبة التاريخيّة للأئمّة المعصومين عليهم السلام.

المقدّمة:

السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، من السيّدات العظيمة لدى الشيعة، أُمّها السيّدة سمانة المغربيّة [القميّ، ١٣٨٣ش، ج ٢، ص ٦٢٠] وفضائل ومقامات أبيها الإمام الجواد عليه السلام خارجة عن التصوّر والإحصاء وغنيّة عن الإيضاح، فهو تاسع الأوصياء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ومن المناسب هنا؛ أن نشير شيئاً ما إلى فضائل والدتها الجليلة..

عن الإمام الهادي عليه السلام في شأنها: «أختي؛ عارفة بحقّي – إمامتي – ومن أهل الجنّة، لا يقربها الشيطان ولا تنالها حيلته ومكره.. فالله حارسها وحافظها، وهي من زمرة أُمّهات الصدّيقين

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

والصالحين» [الطبري، ١٨٧٩م: ٢١٦، القميّ، ١٣٨٣ش: ٦٦٣].

وهكذا ولدت السيّدة حكيمة عليها السلام في أحضان والديها العظيمين وترعرت.

ولعظيم شأن هذه السيّدة الجليلة ومنزلتها الرفيعة المميّزة، فقد ورد اسمها في أكثر المصادر الحديثيّة والتاريخيّة عند الشيعة. فقد روى الشيخ الكليني في [الكافي، ج ١، ص ٣٧٠، ١٤٠١ق] والشيخ الصدوق في (كمال الدين) بسند معتبر عنها كيفيّة ولادة مولانا الإمام الحجّة الموعود عليه السلام [ابن بابويه، ٤٢٣ - ٤٢٤، ١٣٩٥ش] وكذا الشيخ الطوسي في (كتاب الغيبة) نقل الرواية عنها بأسانيد معتبرة [ص٢١٤، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩: ١٤١١ق] وكذا الشيخ المفيد في [الإرشاد، ج ٢، ص ٣٥١، ١٤١٣ق] فيما ظنّ عدّة من المؤرّخين والأعلام أنّ الشيخ المفيد (ت ٤١٣ق) لم يورد ذكراً للسيّدة حكيمة عليها السلام، وكأنّه لم يذهب إلى أنّ للإمام الجواد عليه السلام بنتاً تسمّى حكيمة.. وكمثال على ذلك ما كتب الشيخ عبّاس القميّ في [منتهى الآمال، ج٢، ص٦٢١، ١٣٨٣ش]: «... والأعجب عدم تعرّض الشيخ المفيد في (الإرشاد) وغيره في كتب التواريخ والسير والنسب لتلك المخدّرة وعدم ضمّها إلى أولاد الإمام الجواد عليه السلام».

وذات المطلب هذا أورده الشيخ ذبيح الله المحلّاتي في كتاب [رياحين الشريعة، ج ٤، ص١٥: ١٣٨٠ش] إذ الشيخ المفيد من قدماء الأصحاب ومطّلع على تأريخ الأئمّة عليهم السلام، فمن العجيب عدم ذكره اسم السيّدة حكيمة عليها السلام في عداد بنات الإمام الجواد عليه السلام في كتبه..

وإنّ التحقيق في كتاب (الإرشاد) القيّم، يشير إلى أنّ الشيخ المفيد قد صرّح باسمها الشريف وأنّها لديه عمّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام [الإرشاد، ج ٢، ص ٣٥١].

وقد كتب الشيخ المفيد في (المقنعة) لدى ذكره أسماء بنات الإمام الجواد عليه السلام: كان له بنتان؛ فاطمة وأُمامة.. وبالنظر إلى أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا شديدي الحبّ لاسميْ فاطمة وعلي، فإنّه يحتمل قويّاً أن تكون فاطمة هي حكيمة عليها السلام. وعلى أيّ حال، فإنّ الشيخ المفيد قد صرّح بأنّها من أولاد الإمام الجواد عليه السلام [المفيد، ج ٢، ص ٣٥١].

وقد ذكرها الأردبيلي في [جامع الرواة، ص ٤٥٧] والمجلسي في (بحار الأنوار) والخوئي في (معجم رجال الحديث) والعديد من أجلّة علماء الشيعة (الخوئي، ١٤٠٩ق).

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

ولهذه السيّدة الجليلة فضائل جمّة مختلفة.. فهي عليها السلام عالمة، وهي في زمرة فقهاء الشيعة، حتّى أنّ الإمام الهادي عليه السلام أوكل إليها السيّدة نرجس عليها السلام لتتعلّم منها أحكام الدين.. وإنّ التأمّل في بعض الروايات، يوضّح إحاطتها بالمسائل الدينيّة [ابن بابويه، ج ٢، ص ٤٢٩] وهي عليها السلام قد عايشت أربعة أئمّة معصومين، أي: الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري والإمام الحجّة المنتظر صلوات الله عليهم وعلى آبائهم الطاهرين، وكان لها الارتباط المباشر بالإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فانتفعت منه كلّ الانتفاع..

وقالت السيّدة حكيمة عليها السلام بخصوص صلتها بالإمام المنتظر عليه السلام في أيّام الغيبة الصغرى: «إنّي أراه في كلّ صباح ومساء، ويجيبني عمّا يريد أن يسألني الناس.. ووالله إنّي لأهمّ بسؤاله عن شيء، فيجيبني قبل السؤال.. ويبيّن لي كلّ أمرٍ قبل أن أسأله، ويصدر لي من ناحيته حكم ذلك» [ابن بابويه، ج ٢، ص ٤٢٩].

وقال الإمام الهادي عليه السلام للسيّدة حكيمة:

«يامباركة! إنّ الله تبارك وتعالى أحبَّ أن يشركك في الأجر؛ يجعل لك في الخير نصيباً» [ابن بابويه، ج ٢، ص ٤٢٧].

وقد ورد هذه الرواية لدى زواج الإمام الحسن العسكري بالسيّدة نرجس عليهما السلام، وفيها لقّبها الإمام بمباركة. ويقال للشخص مباركاً حين يكون منشأً للخير والبركة الكثيرة.. وفوق البركة قد أشركها الله تعالى في أجر هذا الأمر العظيم.. وتتجلّى أهمّيّة وعظمة هذا الإخبار المبارك عن الإمام الهادي عليه السلام؛ مع ملاحظة هذه العلاقة النبيلة بين الإمام العسكري عليه السلام والسيّدة نرجس عليها السلام بيد السيدة حكيمة عليها السلام. وقال العلّامة المجلسي في فضائل السيّدة حكيمة:

«ثمّ اعلم أنّ في القبّة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجيبة الكريمة العالمة الفاضلة التقيّة الرضيّة حكيمة بنت أبي جعفر عليه السلام، ولا أدري لِمَ لَمْ يتعرّضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالها وأنّها كانت مخصوصة بالأئمّة عليهم السلام ومودَعة أسرارهم، وكانت أُمّ القائم عندها، وكانت حاضرة عند ولادته عليه السلام، وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمّد العسكريّ عليه السلام وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته، فينبغي زيارتها بما أجرى الله على اللسان ممّا يناسب فضلها وشأنها». [المجلسي، ج ٩٩، ص ٧٩].

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

٦- ١ : زوج وأولاد السيّدة حكيمة عليها السلام :

طبقاً لإخبار بعض النسّابة، فإنّ أبا الحسن المحدّث - من أحفاد الإمام السجّاد عليه السلام قد تزوّج السيّدة حكيمة عليها السلام، وكان له منها ثلاثة أبناء [المحلّاتي، ج ٤، ص ١٥٥].

٦- ٢ : دور السيّدة حكيمة عليها السلام في المسائل الأمنيّة والسياسيّة:

كما ذكرنا آنفاً، فإنّ السيّدة حكيمة عليها السلام قد أدركت أربعة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهم: الإمام الجواد والهادي والعسكري والمهدي صلوات الله عليهم وعلى آبائهم الطاهرين.. ولما كان يوم ولادتها الشريف غير معلوم، فإنّه لا يمكن القول بالفترة التي عاصرت فيها والدها الإمام الجواد عليه السلام.. ولكن بالنظر إلى أنّ الإمام الجواد عليه السلام قد استشهد في سنة (٢٢٠ق) وأنّ الإمام الهادي عليه السلام كان ولد في سنة (٢١٢ق) يمكن القول بأنّ ولادتها كانت بين سنة (٢١٢ و٢٢٠ق).. ومن هنا؛ فهي عليها السلام لم تدرك من حياة والدها الشريفة سوى بضع سنين.. ومع ذلك؛ فإنّ تلكم السنين كانت طافحة بالبركة والخير، وكانت بمثابة الأرضيّة المناسبة لأن يضفى عليها بالخير والبركة..

كما ينبغي وصف تلك الفترة المباركة من حياة السيّدة حكيمة فترة تربية طيبة لها.. فترة تركت كلّ الأثر الطيب طيلة حياتها وإلى مماتها، وكانت بمثابة المنهل والمعين الصافي لتربية المؤمنين من خلالها وبواسطتها. والقرائن تشير إلى أنّها عاشت - بعد استشهاد والدها الإمام الجواد عليه السلام - في أحضان والدتها الجليلة النبيلة وأخيها الإمام الهادي عليه السلام الذي كان إمام زمانها بحيث نما فيها الاستعداد لتحمّل المسؤوليات الثقال.. وكان في مقدّمتها: الهجرة مع أخيها الإمام الهادي عليه السلام من المدينة إلى سامرّاء.

٦- ٣ : هجرة السيّدة حكيمة عليها السلام من المدينة إلى سامرّاء:

هجرة هذه السيّدة الجليلة المباركة إلى سامرّاء مقطوع بها؛ بناء على الأسانيد التاريخيّة المتعدّدة، ولكن وقت وقوع هذه الهجرة مجهول، ولكن المتيقّن أنّ الإمام الهادي عليه السلام قد قدم إلى سامرّاء في فترة حكم المتوكّل العبّاسيّ، فأسرعت السيّدة حكيمة إلى إمام زمانها دون إشارة المصادر إلى وقت التحاقها به أو لعلّها رافقته في هجرته.. ولكنّ الاحتمال الثاني - التحاقها به فيما بعد - هو الأصوب والأرجح.. وإنّ السبب في هذا الإبهام أنّ هذه السفرة كانت تحت أنظار جواسيس المتوكّل ومأمور به.. ولهذا، فقد عميت علينا الكثير من أحداث هذه الهجرة وتأريخها

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

الدقيق.

٦- ٤ : أهمّيّة هجرة السيّدة حكيمة العظيمة:

لقد وقعت العديد من الهجرات المهمّة والمؤثّرة في تاريخ الإسلام، كهجرة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، وهجرة أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى الكوفة، وهجرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من الكوفة إلى المدينة، وهجرة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، وهجرة الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى إقليم مرو، وهجرة الإمام الهادي من المدينة إلى سامرّاء.. فكانت كلّ واحدة من هذه الهجرات منشأً لتحوّلات مهمّة.. ومن بينها؛ أضحى لهجرة إمامنا الهادي إلى سامرّاء أهمّيّة شديدة؛ أعقبتها تغيّرات هامّة.. حيث حصلت ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى ظهوره الكريم ثمّ إمامته المباركة في سامرّاء المشرّفة، وكذا تراكم التأثير المباشر للإمام عليه السلام على عاصمة الخلافة العبّاسيّة، مضافاً إلى تكريس دور تلك العاصمة في التاريخ الإسلامي..

والمؤسف في الأمر أنّ المصادر التاريخيّة وإلى الحدّ الذي حقّقته وتتبّعت أمره، فإنّ أهمّيّة هذه الهجرة وتفاصيل تأثيراتها المتواصلة.. لم تجرِ الإشارة إليها إلّا ما ندر.. والخلفاء والحكّام العبّاسيّون لم يتصوّروا أبداً أنّ الإمام الهادي والإمام العسكريّ عليهما السلام كان لهم النفوذ حتّى في قلوب بعض العاملين في جهاز النظام الحاكم، بحيث شوهدت سامرّاء تخرج عن بكرة أبيها حزينة نائحة لدى استشهادهما عليهما السلام، بل إنّ جماعة من النواصب وأمّ المتوكّل والرجال والنساء من قبيل هذا الفريق قد آمنوا بهذين الإمامين العظيمين.. ولقد كان للإمام من العمر في المدينة المنوّرة عشرون سنة، وقد أضحى محور العامّ والخاصّ إلى الحدّ الذي صار عامل المتوكّل فيها حذراً منه كلّ الحذر، فبعث المتوكّل رسالة خاصّة إلى الإمام الهادي عليه السلام، ثمّ كلّف يحيى بن هرثمة ليصطحبه إلى مدينة سامرّاء..

قال ابن هرثمة: لما دخلت المدينة وعلم الناس أنّي أريد اصطحاب الإمام إلى سامرّاء رفعوا أصواتهم بالنحيب والعويل بما لم أسمع بمثل ذلك من قبل.

وهذه المحبوبيّة كانت للإمام في سامرّاء أيضاً إلى الحدّ الذي وجد المتوكّل نفسه مجبراً ومضطرّاً إلى تصفية شخص الإمام جسديّاً.. ويمكن مشاهدة تشييع جنازة الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام وما تضمّنها من صيحات حزن ونحيب [القمي، ج ٢، ص ٧١٠].

وفي هذه الهجرة العظيمة والمؤثّرة للإمام الهادي عليه السلام كان لابدّ من مرافقة رجال ونساء

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

جديرين.. ولا شكّ في أنّ المتوكّل، ورغم ما تظاهر به من احترام في رسالته للإمام، ورغم إشفاقهِ الماكر على الإمام، إلّا أنّه وجد نفسه مضطرّاً إلى مراقبة الإمام مراقبة شديدة؛ في إطار قطع الصلة بينه وبين الشيعة ليعجز الإمام عن أمر القيادة والإمامة..

أمّا الإمام عليه السلام وطبقاً للأمر الإلهي؛ فقد كان لابدّ له من تولّي زمام الرسالة والإمامة بكلّ قوّة، ولتحقيق هذا الأمر كانت الحاجة إلى أنصار وأتباع مخلصين ومضحّين في تلك الظروف الطافحة بالعناد والنصب الشديد من جهة المتوكّل تجاه الدين والإمامة والإمام.. أنصار واعون عارفون مؤمنون كلّ الإيمان بإمامة الإمام الهادي عليه السلام.. فكانت السيّدة حكيمة عليها السلام من هذه الجماعة الواعية العارفة المخلصة المضحّية.. فهي كانت امرأة غزيرة العلم عبقريّة مطّلعة على الأوضاع والأحوال السياسيّة والزمانيّة التي اصطنعها المتوكّل الظالم الجبّار للإمام الهادي عليه السلام.. ومن جهة أخرى، كان المشروع الإلهي يتضمّن لزوم ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وهو الإمام الأخير في عقد الإمامة.. في مدينة سامرّاء.. فكان للسيّدة حكيمة عليها السلام تأثير مباشر كبير في هذا الأمر، من حيث كونها امرأة، ومن حيث أنّها محرمٌ على الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

٦- ٥ : السيّدة حكيمة عليها السلام إلى جانب الإمام الهادي عليه السلام في سامرّاء:

على أيّ حال؛ وقفت هذه السيّدة إلى جانب أخيها الإمام الهادي عليه السلام في سامرّاء، وكانت الظروف الأمنيّة والسياسيّة تبعث على العسكر والقلق، ممّا صعّب المهمّة على السيّدة حكيمة عليها السلام. وكانت أولى وظائفها المهمّة المحافظة على الإمام الهادي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.. هذه القضيّة التي يصعب تلمّسها في المصادر التاريخيّة والحديثيّة.. كما أنّ مهمّة الصدّيقة زينب سلام الله عليها خلال سفرها التاريخي تجلّت في المحافظة على حياة أخيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام [1].

٦- ٥ - ١ : حافظة أسرار الإمامة:

في هذه الحقبة، كانت السيّدة حكيمة عليها السلام حافظة أسرار الإمام الهادي عليه السلام وأمينه، إذ كان الإمام يكشف لها عن أسراره.. وأهمّها؛ كان أمر ولادة مولانا الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه

١. ثمّ المحافظة على حياة ابن أخيها الإمام السجّاد عليه السلام العليل عليه السلام و جملة النساء و الأطفال أثناء ملحمة السبي ثمّ الرجوع إلى كربلاء فالمدينة. المترجم

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

الشريف.. ويستفاد من الروايات أنّها كانت تعلم بذلك حتّى قبل زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس عليها السلام [ابن بابويه، ص ٤٢٧]. ومن هنا؛ كانت هذه السيّدة الحكيمة تتشوّق لحصول الولادة المهدويّة، وقد دخلها السرور العظيم حين زواج ابن أخيها من والدة الإمام الموعود عليه السلام..

٦- ٥ - ٢ : زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس عليها السلام :

من الناحية الأمنيّة والسياسيّة، كان زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس عليها السلام أهمّ مسائل تلك الفترة، وذلك أنّ اتّفاق المسلمين وقع على أنّ الإمام المهدي - ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام - سيقضي على الظلم والظالمين، وأنّه هو الذي يملأ الله تعالى به الأرض قسطاً وعدلاً.. وكان التقدير الإلهيّ أن يتزوّج الإمام العسكري عليه السلام في سامرّاء التي سيولد ذلك الابن الموعود المنتظر عليه السلام فيها.. وهذه النقطة الخطيرة التي كان زعماء الحكم العبّاسيّ مطّلعين عليها عالمين بها، كما تصرّح بذلك الروايات.. حيث نقل المحدّثون والعلماء عن الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله تفاصيل هذا الأمر.. ولذا؛ فقد كان العبّاسيون الظالمون يشدّدون الحصار على بيت الإمام كلّما تقدّمت الأيّام..

وهذا الزواج المبارك المقدّس قد حصل في زمان الإمام الهادي عليه السلام وتحت إشرافه المباشر، ولكن نوع اختلاف يسير وقع بين روايات هذا الأمر.. وطبقاً لمجموعة من الروايات، فإنّ السيّدة نرجس عليها السلام كانت من جواري السيّدة حكيمة عليها السلام المميّزات الخاصّات.. قالت السيّدة حكيمة نفسها بهذا الصدد:

«كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي عليه السلام، وأقبل يحدّ النظر إليها، فقلت له: ياسيّدي! لعلّك هويتها؛ فأرسلها إليك؟ فقال: لا ياعمّة، لكنّي أتعجّب منها، فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزّوجلّ الذي يملأ الله به الأرضَ عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً. فقلت: فأرسلها إليك ياسيّدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي..

قالت [السيّدة حكيمة]: **فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن، فسلّمت وجلست، فبدأني عليه السلام وقال: ياحكيمة! اِبعثي بنرجس إلى ابني أبي محمّد.**

قالت: **فقلت: ياسيّدي! على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك.. فقال: يامباركة! إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لكِ في الخير نصيباً.**

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

قالت حكيمة عليها السلام: **فلم ألبث أن رجعتُ إلى منزلي وزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد، وجهت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أيّاماً ثمّ مضى إلى والده ووجّهت بها معه.**

قالت حكيمة عليها السلام: **فمضى أبو الحسن عليه السلام، وجلس أبو محمّد عليه السلام مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده.. فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي وقالت: يامولاتيّ ناوليني خفّك.. فقلت: بل أنت سيّدتي ومولاتي، واللّه لا دفعت إليك خفّي لتخلعيه ولا خدمتيني؛ بل أخدمك على بصري. فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك، فقال: جزاكِ الله خيراً ياعمّة.. فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس، فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف. فقال عليه السلام: ياعمّتاه! بيتي اللّيلة عندنا فإنّه سيولد الله المولود الكريم على الله عزّوجلّ؛ الذي يحيي الله عزّوجلّ به الأرض بعد موتها. قلت: ممّن ياسيّديّ ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحمل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها.**

قالت: فوثبت إلى نرجس؛ فَقَلَبْتُها ظهراً لبطن، فلم أرَ بها أثراً من حبل.. فعدتُ إليه فأخبرته بما فعلت.. فتبسّم ثمّ قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر للكِ بها الحبل؛ لأنّ مثلها مثل أُمّ موسى؛ لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها...» [ابن بابويه، ص ٤٢٦، المجلسي، ج٥١، ص١٢ - ١٣].

وكما تمّت الإشارة إليه، فقد كان زواج الإمام العسكري عليه السلام حسّاساً جدّاً من الناحية الأمنيّة، إذ كان محتملاً [مقرّراً] أنّ الإمام المهدي عليه السلام أن يولد من أوّل زوجة للإمام عليه السلام.. وهكذا كان، وقد ولد الإمام الحجّة عليه السلام من أُمّة السيّدة نرجس عليها السلام.. ومن هنا؛ كان لابدّ من أن يتمّ هذا الزواج المبارك بدقّة بالغة؛ وبعيداً عن أعين الأعداء والجواسيس والأتباع الجهّال.. وكان آمنُ وأنسب موضع لهكذا أمرٍ خطرٍ حساس؛ هو بيت السيّدة حكيمة عليها السلام ومن هذه الرواية يمكن استنتاج جملة نقاط:

١ – أنّ الإمام الهادي عليه السلام كان مطّلعاً على هذا الأمر تمام الاطلاع.. إذ ما أن جاءته السيّدة حكيمة عليها السلام لتسأله عن زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس، وقبل أن تقول له شيئاً، بادرها قائلاً: زوّجي نرجس من ولدي أبي محمّد.. ومن هنا؛ فقد كان هذا الزواج المبارك تحت إشراف الإمام الهادي عليه السلام وبتدبيره المباشر.

٢ – لعلم الإمام الهادي عليه السلام بأنّ عمّته الفاضلة السيّدة حكيمة عليها السلام لها الشخصيّة الرصينة السامية، فقد جعلها حافظة للأسرار.. وقد كشف لها في هذا الإطار أعظم سرّ قائلاً: «**سيولد**

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

اللّيلة المولود الكريم على الله عزّوجلّ؛ الذي يحيي الله عزّوجلّ به الأرض بعد موتها...». وهذا هو السرّ المهمّ والخطير والحسّاس، وذلك أنّ أُمّهات الأئمّة يجب أن لا يُعرف؛ لا سيّما أُمّ الإمام المهدي عليه السلام، ولقد زوّج المأمون العباسي ابنته من الإمام الجواد عليه السلام؛ لعلّها تكون والدة الإمام التالي ويكون نسل الأئمّة عليهم السلام بعد الإمام الجواد عليه السلام من نسلها.. وعلى أيّ حال، فإن كشف خبرٍ غيبي ونبوءة مهمّة بخصوص السيّدة نرجس عليها السلام، ممّا يؤكّد ويشير إلى عظمة شخصيّة وإيمان السيّدة حكيمة عليها السلام، كما يحكي عميق اعتماد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام عليها..

٣ – قد وصف الإمام الهادي عليه السلام أُخته السيّدة حكيمة (بالمباركة) أي أنّها مفعمة بالخير والبركة المتواصلة، وستكون جاريتها زوجةً للإمام العسكري عليه السلام، وستتمّ مراسم الزواج في بيتها هي...

٤ – أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام تتحلّى بالطاعة المطلقة لمقام الإمامة السامي.. فوجدناها قد سارعت إلى امتثال أمر ابن أخيها الإمام العسكري عليه السلام بعرض الأمر على والده الإمام الهادي عليه السلام.. فقصدت أخاها الإمام، وبعد سماع أمره، لم تتأخّر في العودة إلى بيتها لترتّب أمر الزواج بصورة ذكيّة وآمنة..

وبخصوص كيفيّة زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس عليها السلام، ثمّ رواية أُخرى منقولة.. وطبقاً لها.. فإنّ بشر بن سليمان قصد بغداد بأمر من الإمام الهادي عليه السلام ليشتري جارية تحت مسمّى «نرجس» وحين جاء بها، قال الإمام لكافور الخادم:

«**ادعُ لي أُختي حكيمة. فلما دخلت عليه، قال عليه السلام لها: ها هي، فاعتنقتها طويلاً وسُرّت بها كثيراً، فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله! أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن؛ فإنّها زوجة أبي محمّد وأُم القائم عليه السلام**» [ابن بابويه، ٤٢٦].

ويستفاد من هذه الرواية – من جهة – أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام ذات فضل وجدارة خاصّة لإدارة أهمّ المسائل الأمنيّة والسرّيّة، مضافاً إلى الاعتماد المطلق من جهة الإمام الهادي عليه السلام عليها.. ومن هنا: فإنّ ثَمّ ثلاث نقاط تستقى من هذه الرواية الشريفة؛ ذات التأثير الكبير في المسائل الأمنيّة والسياسيّة:

أ: الاعتماد التامّ من الإمام الهادي عليه السلام على السيّدة حكيمة عليها السلام.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

وبناء على هذه الرواية، فإنّ هذه السيّدة الجليلة من وجهة نظر أخيها الإمام، كانت امرأة فقيهة عالمة بأحكام الدين.. وعبارة الإمام التي قال فيها: «خذيها إلى منزلك وعلّميها الأحكام **الواجبة والمستحبّة**» تتضمّن الإشارة إلى عميق علمها وواسع معرفتها.. إنّ موقف الإمام الهادي عليه السلام من أُخته الفاضلة الرشيدة، حيث كان يعدّها فقيهة بالفرائض والسنن، فوجدها أهلاً لتعليم امرأة كالسيّدة نرجس لتعدّها كزوجةٍ رشيدةٍ للإمام العسكري عليه السلام وأمّاً جليلةً لمولانا صاحب الزمان عجّل الله ظهوره الكريم..

ب: من جملة «ها هي» يتّضح جليّاً أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت على علم مسبق بأنّ امرأة بهذه الخصائص ستكون زوجة للإمام العسكري عليه السلام وأُمّاً للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه.. والإمام الهادي عليه السلام كان قال لها بهذا الصدد: هذه هي التي كنت تعرفين وصفها، ممّا يشير عظيم اعتماده على فطنتها وحفظها للأسرار وأمانتها وجدارتها عليها السلام، فهي أمينة، وبيتها آمن لسكن وتعليم السيّدة نرجس عليها السلام، ولهذا؛ كانت محطّ اعتماد أخيها الإمام المعصوم عليها، ومكاشفتها بهكذا أسرار..

ج: كان اعتقاد واعتماد الإمام الهادي عليه السلام على السيّدة حكيمة عليها السلام بحدٍّ أطلق عليها عنوان: «بنت رسول الله» وهو العنوان الذي كان يطلق - فيما سبق - على سيّدات عظيمات منقطعات النظير، مثل الصدّيقة الكبرى فاطمة نساء العالمين التي لا يقاس بها أحد من الخلق، والصدّيقة الجليلة السيّدة زينب بنت علي فاطمة سلام الله عليهم أجمعين.. وفي السيّدة حكيمة صورة وذكرى من جدّتها الزهراء التي كانت موضع اعتماد أمير المؤمنين عليها.. ومن السيّدة زينب الكبرى التي كانت محطّ اعتماد وثقة أخيها الإمام الحسين وابن أخيها الإمام السجّاد صلوات الله وسلامه عليهم، وكذا من السيّدة الجليلة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم في مواقفها ودورها إلى جانب أخيها الإمام الرضا صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد كان لهذه السيّدة الفاضلة خصائص لدى إنجاز هذه المهمّة الموكولة إليها، متأسيّة برسول الله صلى الله عليه وآله.. ومن هنا؛ سُمّيت ببنت رسول الله [الحسيني، ص٢٨٥].. كما أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت في خدمة أخيها الإمام الهادي، ولم تكن لتضيّع جهداً في التضحية والإيثار.. وكانت سامرّاء السيّدة حكيمة مع قم فاطمة المعصومة ومدينة زينب والزهراء سلام

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

الله عليهنّ أجمعين ذوات ملاك واحد.. ومن هنا؛ فإنّ فضائل وعلم ومعرفة وفطنة وتضحية وإيثار وطاعة أخيها؛ وإمامها المعصوم؛ وصفات من هذا القبيل قد هيّأت الظروف والأحوال ليصفها أخوها بلقب: «بنت رسول الله»، أي أنّه عليه السلام كان يعدّها جديرة بأن تكون بنت رسول الله بحقّ.. بالإضافة – وحسب بعض العلماء – إلى أن حرف «يا» المقرونة إلى كلمة «أُختي» وردت للتفخيم [القزويني، ص١٢] أي أنّ أخاها المعصوم الذي لا ينطق إلّا بما يلهمه الله تعالى قد خاطبها بتفخيم جليّ ونسبها إليه عليه السلام.

ومن جهة أُخرى؛ فإنّ هذه الرواية الشريفة تشير إلى العظمة وسامي الفضائل الكامنة والمتوفّرة في وجود السيّدة حكيمة عليها السلام، كما تشير إلى أنّها:

أوّلاً: أنّها عليها السلام كانت عالمةً بجميع الفرائض والسنن، فضلاً عن العقائد والأحكام والأخلاق وجميع ما ينبغي أن يعرفه العالم من اعتقادات وما يلزم به العمل من واجب أو مستحبّ، هذا إن شمل قول الإمام عليه السلام من مصاديق وأفراد بما يناسب تلك الحقبة الزمنيّة والبقعة المكانيّة لحضرة السيّدة حكيمة عليها السلام من مسائل أمنيّة وسياسيّة تجب مراعاتها.

ثانياً: قدرتها على التعليم والتربية في مستوايتهما العالية، وحتّى لأفراد من قبيل السيّدة نرجس عليها السلام.

ثالثاً: أنّها عليها السلام كانت أمينة وجديرة بأن تكشف لها الأسرار وأن تحفظها، وذلك على أن أعلى المستويات، ممّا يشير إلى أنّها كانت لها على اطّلاع مسبق بخصوصيّات السيّدة نرجس عليها السلام، إذ الإمام عليه السلام نبّه بقوله: «ها هي»، أي هذه نفسها التي قصدتها؛ أو كنت على علم بها..

رابعاً: أنّ مجرّد الاتّصاف بحفظ الأمانة في المسائل الخطيرة غير كافٍ، وإنّما الأمر بحاجة إلى فطنة غالبة أيضاً.. فيستفاد من هذه الرواية الشريفة أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت سيّدة ذكيّة جدّاً وفطنة للغاية ومحطّ اعتماد الإمام وثقته..

خامساً: أنّها كانت مطيعة – مطلق الطاعة – لإمامها.. فاصطحبت السيّدة نرجس عليها السلام بلا تردّد أو تأخير لتنفّذ أمر إمامها المعصوم..

وما له أهمّيّة خاصّة من بين كلّ هذه الموارد، منزلة السيّدة حكيمة عليها السلام تجاه المسائل الأمنيّة

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

والسياسيّة في نظام الإمامة.. فيفهم من هذه الرواية الكريمة أنّ مشروع زواج الإمام العسكري عليه السلام من السيّدة نرجس عليها السلام كان قد رُسمت خطّته من ذي قبل بشكل دقيق، وأنّ المنفّذين لهذا المشروع الربّاني قد استعدّوا له سلفاً.. وأحد هؤلاء وأهمّهم؛ السيّدة حكيمة عليها السلام؛ حيث قال لها الإمام: «ها هي» أي: هذه هي الفتاة الموقّرة التي كنت تعرفين بأمرها، أو: هذه هي الفتاة التي كنت حدّثتكِ عنها من قبل..

والشاهد الحقّ على هذا المطلب أنّها عليها السلام قد أخذت السيّدة نرجس عليها السلام بأحضانها ولفترة غير قصيرة مع بالغ سرورها، وكأنّها تشعر أو تتأكّد بأنّ الوعد الإلهي يكاد يتحقّق، أو قد تحقّق بالفعل، وهو: ولادة مولانا الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكانت تعلم جيّداً أنّ هذا الزواج له خطورته العظيمة جدّاً، وأنّه ينبغي إحاطته بالسرّيّة المطلقة، وكما تمّت الإشارة إليه؛ فإنّ هذه المهمّة يجب أن تنفّذ بدقّة وحيطة وفطنة بالغة..

إن حساسيّة وسريّة هذا الزواج؛ ثمّ ولادة الإمام المهدي عليه السلام؛ هما أكبر وأعظم أهمّيّة ممّا وُصفا.. ولعلّ الإشارة والتذكير بعبارة وردت في نصّ زيارة السيّدة نرجس عليها السلام يمكن أن يكشفا عن حقيقة الأمر هذا، فقد ورد القول فيها: «**السلام عليكِ ياشبيهة أُمّ موسى**» [القمّي، ج٢، ص ٥٠١] ويحتمل قويّاً أن يكون سرّ التشبيه بين هاتين السيّدتين العظيمتين أنّ جميع مراحل أُمومة أُمّ موسى كانت بخفاءٍ وبعيدة عن أعين جواسيس فرعون.. وأنّ أسرة موسى قد أحرزت جميع أشكال الحيطة والحذر والتدبير الدقيق والمؤثّر، فحفظوا بذلك حياة النبي موسى عليه السلام الذي كان بمثابة المخلّص الموعود المنتظر من قبل بني إسرائيل، ليدخل موسى المعترك المتوقّع في الوقت المناسب؛ فيقضي – بتوفيق الله ونصره – على فرعون وسلطته وأعوانه.. لا سيّما وأنّ أقلّ وأبسط خطأ؛ كان يمكن أن يعرّض موسى للخطر الماحق ويحرم المجتمع من وجوده..

ومن هنا؛ كان النظام العبّاسي الحاكم – وبالنظر إلى الروايات الواردة عن طرق الشيعة والمخالفين – قد سخّر كلّ إمكاناته الأمنيّة للكشف عن شخص المرأة التي ستكون أُمّاً للإمام المهدي المرتقب، ثمّ للقضاء على هذا الوليد المقدّس.. فكان لا مناص من إحراز جوانب الكتمان الخاص بوالدة الإمام المهدي عليه السلام.. فكانت السيّدة حكيمة عليها السلام مَن أوكل بها شطر كبير من تنفيذ وتحقيق هذا المشروع الربّانيّ العظيم..

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

وتَمّ احتمال قائم – فضلاً عن إنجاز المهامّ الأمنية ذات الصلة بموضوع الزواج المذكور – فإنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت – بنوع ما – وكيلة للإمام الهادي عليه السلام في مجالات أُخرى، وسيأتي إيضاحها تبعاً..

٦– ٦: السيّدة حكيمة عليها السلام في زمن الإمام العسكري عليه السلام:

أثناء عصر إمامة الإمام العسكري عليه السلام، وفي فترة حكم المعتزّ (٢٥٢ – ٢٥٥ق) والمهتدي (٢٥٥ – ٢٥٦ق) والمعتمد العبّاسيّ (٢٥٦ – ٢٧٩ق) آلت الحكومة المركزيّة للعبّاسيّين – وقياساً بما سبقهم – إلى الضعف، وقد أمسك الأتراك في سامرّاء وغيرها بزمام المناصب الحكوميّة الحساسّة.. وكانت الظروف والأوضاع الاجتماعيّة غير مناسبة، فيما الأمن والسلامة والسلام والنشاط والأمل بحياة طيّبة مقبولة قد غادر المجتمع إلى حدٍّ كبير ومشهود إذ ذاك.. وفي تلكم الفترات كان الضغط الشديد والظلم الكبير الصادر عن الحكّام الثلاثة المذكورين تجاه الإمام العسكري عليه السلام وأتباعه وشيعته الحقيقيّين متواصلاً.. بل إن ظلم الحكّام قد ارتفعت معدّلاته ضد الإمام وحاشيته.. حتّى أنّ المعتمد العبّاسيّ الذي كان يتظاهر بالزهد والورع وباتّخاذ عمر بن عبد العزيز الأموي قدوة له في حياته السياسيّة؛ لم يمتنع من إيداع الإمام عليه السلام في السجن، بل وعزم على قتل الإمام، ولكنّه لم ينجح في ذلك [المجلسي، ج ٥١، ص ٣١٣، فريق مؤلفين، ص١١٨].. وقد عزا الإمام العسكري عليه السلام فداحة الخطب في تلك الفترة إلى ما يلي: وثاني أسباب عداء الأمويّين والعبّاسيّين لنا: أنّهم علموا ممّا وقع في أيديهم من أحاديث جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ حكومات الظلمة والجبّارين ستفنى بيد قائم آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم.. فسعوا إلى قتل أهل البيت وإفناء نسلهم ليمنعوا من ولادة القائم عليه السلام أو يقتلوه...

ولذا؛ فقد حرص العبّاسيّون كلّ الحرص على مراقبة بيت الإمام والبحث الشديد عن ابن الإمام العسكري عليه السلام، فكانوا يكبسون منزل الإمام بخبر أو من دونه.. وتارة كان يلبسون الجواسيس – رجالاً ونساءً ملابس الخدم أو الأطبّاء ويرسلونهم إلى بيت الإمام.. وقد بعثوا بعدّة أطباء وعشرات الموثوقين عندهم – العبّاسيّين – لدى مرض الإمام عليه السلام وأمروهم بمراقبة المكان ليلاً ونهاراً، وضبط حركة الخدم والجواري، ليروا الحمل في أيّهن.. وهذه المراقبة والتجسّس قد استمرّ حتّى بعد استشهاد الإمام بأيّام وأيّام [الكليني، ج ١، ص ٥٠٦. فريق المؤلفين، ج ٣،

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

ص ١٣٠، المجلسي، ج ٥١، ص ٣١٤].

وكان لاتّساع سطوة الشيعة في العراق [ابن الأثير، ج٧، ص١٩٥] وثورات العلويّين الدور المشهد في قمع الواقع الشيعي والضغط على الإمام العسكري عليه السلام وأتباعه.. ومن هنا؛ كان لزاماً أن تتضاعف مسؤوليّات أشخاصٍ؛ كالسيّدة حكيمة عليها السلام – القريبة من الإمام – ووكلاء الإمام في مختلف الأمصار.

وفي هذه الفترة؛ كانت السيّدة حكيمة عليها السلام، وبالاعتماد على التجارب المارّة في عصر الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام قد ازدادت خبرةً وفطنة وحنكة.. فكان لارتباطها المستمرّ بالإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام وسعيها الحثيث إلى تعلّم الفرائض والسنن لتسمو شخصيّتها الولائيّة والإيمانيّة والعلميّة.. فهي من جهة أصبحت عارفة مطلعة على أهداف وسياسات واساليب نظام العبّاسيّين في ضبط ومراقبة الإمام المعصوم عليه السلام.. كما كانت خبيرة بأصحاب الإمام ونقاط قوّة وضعف الشيعة المحيطين بالإمام، وكيف يعاملهم ويستعملهم.. وعموماً؛ فإنّ السيّدة حكيمة عليها السلام وعبر مضاعفة علومها وسموّها المعنوي وخبرتها السياسيّة.. أضحت ذات تجربة عظيمة.. ومستعدّة لتحمّل المسؤوليّات الجديدة..

لقد كان لهذه السيّدة الجليلة في هذه المرحلة من حياتها الشريفة حصة بالغة في ما يرتبط بالمسائل الأمنية والسياسية بالقياس إلى فترة إمامة الإمام الهادي عليه السلام.. والتحقيق وملاحظة الروايات الواردة بهذا الشأن تشير إلى أنّها عليها السلام كانت مهتمّة بالمحافظة وبصيانة بيت الإمام، وبالاهتمام بالسيّدة نرجس عليها السلام على وجه الخصوص، متوقّعة ولادة الإمام المهدي عليه السلام.. كما يحتمل قويّاً، أنّها كانت الوكيلة المتقرّبة جدّاً من الإمام العسكري عليه السلام..

وكما وردت الإشارة، فإنّ المسألة الأهمّ في تلك الفترة، كانت مسألة ولادة الإمام الحجّة عليه السلام، ثمّ المحافظة عليه ضمن مراعاة أصول التكتّم والمسائل الأمنيّة.. وفي الوقت نفسه؛ طبيعة إظهاره لبعض الخواص، وتثبيت وتكريس إمامته.. إذ أنّ إمامة الإمام الثاني عشر؛ قائم آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين؛ الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، بعد أن يقتله عروش الظالمين الجبّارين، يجب أن تثبّت بعيداً عن كلّ شبهة وشكّ.. وإن إثبات ولادته عليه السلام لن يتسنّى إلّا بالكشف عن شخصه المقدّس لأفراد موثوقين من خواصّ الشيعة.. وهذا

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

الأمر ممّا زاد من المشاكل الأمنيّة للإمام العسكريّ عليه السلام.. فكان لابدّ لرجال ونساء راسخي الإيمان والولاية والانقياد لتعاليم الإمام العسكري عليه السلام أن ينصروه ويعينوه.. ولا ريب في أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام من هؤلاء؛ بل وفي مقدّمتهم.. والروايات الواردة بشأن ولادة مولانا القائم عليه السلام تشير إلى أن تلك الولادة المباركة كانت وتمّت بمراقبة وإدارة السيّدة حكيمة عليها السلام.. وتلك الروايات متنوّعة.. ولكن يمكن القول إن مضمونها واحد، أو قريبة من بعضها..

ونقرأ في إحداها بهذا الصدد:

«... قالت السيّدة حكيمة: **فمضى أبو الحسن عليه السلام، وجلس أبو محمّد عليه السلام مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي، فقالت: يامولاتي! ناوليني خفّك، فقلت: بل أنت سيّدتي ومولاتي، والله لا أدفع لك إليك خفّي لتخلعيه ولا لتخدميني، بل أنا أخدمك على بصري. فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك، فقال: جزاكِ الله ياعمّة خيراً. فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس، فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف. فقال عليه السلام: لا ياعمتاه؛ بيتي اللّيلة عندنا؛ فإنّه سيولد اللّيلة المولود الكريم على الله عزّوجلّ الذي يحيي الله عزّوجلّ به الأرض بعد موتها. فقلت: ممّن ياسيّدي؛ ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها...** [ابن بابويه، ج٢، ص٤٣٧. المجلسي، ج٥١، ص١٣].

وتتمّة هذه الرواية الكريمة تبيّن كيفيّة ولادة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيّدة حكيمة عليها السلام بشكل مفصّل.. إذ جاء فيها تردّدها على الإمام المولود عليه السلام.

وطبقاً لبعض الروايات؛ فإنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت تكثر من زيارة مولانا العسكري عليه السلام وتدعو أن يرزقه الله المتعال ابناً [المجلسي، ج٥١، ص٢٥] والروايات من هذا القبيل تشير إلى أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت محطّ ثقة تامّة ومحرم أسرار الإمام العسكري عليه السلام أيضاً، وكانت دائمة الاتّصال به [المجلسي، ج٥١، ص١٢ و ٢٥] وكانت ترقب وتحرس أسرته الكريمة.. إذ كان لابدّ لولادة الإمام المهدي عليه السلام أن تتمّ بتكتّم مطلق؛ بعيداً عن عيون الغرباء والأعداء، وقد أُنيطت بالسيّدة حكيمة إدارة هذه المهمّة الفذّة.. وفضلاً عن المشاهدة المتكرّرة من قبل السيّدة حكيمة عليها السلام للإمام المولود، لما لها من المكانة والثقة عند الإمام العسكري عليه السلام، فقد كشف لها الإمام عن مسائل، وأمرها أن ترويها وتنقلها لخواصّ الشيعة مع مراعاة الملاحظات الأمنيّة [المجلسي، ج٥١، ص١٨].

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

٦- ٧: السيّدة حكيمة عليها السلام في عصر الغيبة الصغرى:

كان استشهاد الإمام العسكري عليه السلام كزلزال هزّ مدينة سامرّاء، وطبقاً لبعض الروايات، كان كيوم القيامة، حتّى اضطرّ أعوان السلطة العبّاسيّة إلى المشاركة في تشييع جنازة الإمام الطاهرة لتحاشي اتّهام الناس لهم بقتله عليه السلام [الطوسي، ص٢٣٠] رغم أنّ فريقاً من الشيعة، بل جميعهم تقريباً كانوا يعرفون إمام زمانهم.. ولكن استشهاد الإمام العسكري عليه السلام تسبّب في اضطراب وحيرة بخصوص إمام الزمان عليه السلام، فراحوا يتساءلون عن الإمام المعصوم الذي سيخلف الإمام العسكري عليه السلام وعن مكانه.. [ابن بابويه، ج٢، ص٤٢٦] وهناك توجّب - لحفظ كيان التشيّع - أن يكشف عن الواقع من دون إثارة المشاكل الأمنيّة.. وقد كان عليه السلام قد أمر السيّدة حكيمة عليها السلام أن تخبر الشيعة الموثوقين بعد استشهاده بنبأ ولادة الإمام الثاني عشر وخصائصه عليه السلام:

«**ياعمّة... فإذا غيّب الله شخصي وتوفّاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا، فأخبري الثقات منهم، وليكن عندك وعندهم مكتوماً، فإنّ وليَّ الله يغيّبه اللهُ عن خلقه ويحجبه عن عباده، فلا يراه أحد حتّى يقدّم له جبرئيل عليه السلام فرسه ليقضي اللهُ أمراً كان مفعولاً**» [الطوسي، ص٢٣٧]. وامتثلت السيّدة حكيمة لهذا الأمر، فكانت تطلع الشيعة عليه.. مثال ذلك:

قال محمد بن عبد الله: بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام: ذهبت عند السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام لأسألها عن حجّة الله واختلاف الناس فيه، فقالت: اجلس، فجلست، ثمّ قالت: يامحمّد! إنّ الله تعالى لا يخلي الأرض من حجّة؛ ناطق أو صامت، وإنّه تعالى لم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، وإنّما الحجّة من نسل الإمام الحسين عليه السلام، ولم يعط هذا الشرف لغير الحسين عليه السلام: وقد فضّل الله أولاد الحسين على أولاد الحسن، كما فضّل أولاد هارون على أولاد موسى بالنبوّة، وإن كان موسى هو الحجّة على هارون، ولكن فضيلة النبوّة بقيت في أولاد هارون إلى يوم القيامة.. وإنّ هذه الأُمّة ينبغي أن تبقى في الحيرة والتيه، ليبقى أهل الباطل في الشدّة والضياع فيما ينجو المخلصون.. وقد آن أوان الحيرة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

قال محمّد بن عبد الله: فقلت: ياسيّدتي! وهل كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد؟

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

فتبسّمت وقالت: إن لم يكن له ولد، فمن الإمام من بعده؟ وقد قلت لك: إن بعد الإمام الحسن والحسين لم تكن الإمامة لتكون في أخوين.. وإن جعفر الكذّاب ما هو بإمام..

ثمّ إنّ السيّدة حكيمة راحت تبيّن محمّد بن عبد الله كيفيّة ولادة وترعرع الإمام الحجّة عليه السلام.. ويستفاد من هذه الرواية مسائل عدّة ينبغي الاعتناء بها في محلّها.. ولكن في المناسب للإشارة إلى أن أبواق الحكم العبّاسيّ قد جهدت كل الجهد ليذهب الناس إلى أنّ الإمام العسكري عليه السلام قد مات دون أن يكون له وصيّ وخلف، وأنّ وارثه أُمّه فحسب.. وهذه المسألة كان الإمام ملتفتاً إليها، فكان يقول: «يظنّ عدوّ الله أنّ ليس لي ولد» [الكليني، ج١، ص٥٨٠] وكان على السيّدة حكيمة عليها السلام وأضرابها ممّن هم مطّلعون على ولادة الإمام المهدي عليه السلام أن يعلموا الشيعة بما يعرفون لتفشل المؤامرة العبّاسيّة. وقد روي عن السيّدة حكيمة عليها السلام في نصٍّ آخر:

قال أحمد بن إبراهيم: دخلت على السيّدة حكيمة عليها السلام في المدينة سنة (٢٦٢) فكلّمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها (عقيدتها) فذكرت اسم إمام الزمان وقالت: «هو إمامي وحجّة الله، وأنا أقتدي به في أمر ديني.. وقالت: فلان بن الحسن، وذكرت اسمه. فقلت: نفسي لكِ الفداء! وهل شاهدتيه أم سمعتِ عنه خبراً؟ فقالت: سمعت خبره عن الإمام العسكري.. فقلت: وأين ذلك المولود؟ فقالت: هو مختفٍ، فقلت: فلمن ترجع الشيعة؟ فقالت: للجدّة أمّ العسكري. قلت: وهل أقتدي بشخص أوصى لامرأة؟ فقالت: قد اقتدى بالحسين بن عليّ بن أبي طالب لما أوصى في الظاهر لأخته زينب.. وإنّك عالم بالروايات ومن أهل الأخبار، أوَ ليس قد روي لكم أنّ التاسع من ولد الحسين سيقسم ميراثه في حياته!؟ [ابن بابويه، ج٢، ص٥٠١، الطوسي، ص٢٣٠].

حتّى أنّ أشخاصاً كمحمّد بن عثمان العمري – رضوان الله عليه – سفير الإمام الثاني في عصر الغيبة القصيرة قد نقلوا مطالب عن السيّدة حكيمة عليها السلام [المجلسي، ج ٥١، ص ١٦]، ومن هذه الرواية يستفاد أنّ عمّال الحكم العبّاسي الأمنيين قد خلقوا أجواء وظروفاً حرجة جدّاً للإمام عليه السلام والشيعة عموماً، إلى الحدّ الذي كان يُخشى من ذكر اسم الإمام؛ وتُستخدم عبارة «فلان بن الحسن» وكانت السيّدة حكيمة عليها السلام تصوّر الظروف الصعبة تلك بتعابير ملفتة للنظر..

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

قالت عليها السلام: بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام صار ذكر اسم الإمام السجّاد عليه السلام حرجاً جدّاً بما ارتكب الأمويّون بحقّه وبحقّ الشيعة، فإذا ما ذكر اسمه؛ تعرّضت حياته للخطر.. ومن هنا؛ كانت السيّدة زينب عليها السلام وصيّة للإمام الحسين عليه السلام، ولكنّها في الواقع كانت وصيّة للإمام السجّاد عليه السلام، وكانت هي التي تفتي الناس أو تنقل لهم أجوبة المسائل والأحكام.. وهذا التشبيه من جانب السيّدة حكيمة عليها السلام يشير إلى أنّ الحكم العبّاسيّ كان يتصوّر - بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام - أنّ الواقع الشيعي قد اضمحلّ وتفكّك و لم تعد له هويّة محدّدة، وأنّه من اللّازم توجيه رصاصة الرحمة على هيكليّته.. ولقد كان الإمام العسكريّ عليه السلام ملتفتاً إلى هذا التصوّر، حيث منع الشيعة عن ذكر اسم إمام الزمان عليه السلام بشكل علني، باعتبار أنّ هلع النظام الأمني للعبّاسيّين من الانهيار يؤدّي إلى تنمّر هذا النظام، فيوجّه ضرباته الماحقة إلى الشيعة والتشيّع..

لقد كان ذلك الظرف الزماني المعقّد بمسيس الحاجة إلى أشخاص كالسيّدة زينب عليها السلام لتقود سفينة النجاة وتعبر بالشيعة إلى ساحل الأمان..

وحقّاً؛ كانت السيّدة حكيمة عليها السلام زينبَ زمانها، فكان لها الدور المصيريّ.. في مراعاة الوضع السياسي والأمني؛ مضافاً إلى تبيين الحقائق وتكريس عقيدة الإيمان والتسليم بإمامة الإمام الحجّة عليه السلام..

٦- ٨: السيّدة حكيمة عليها السلام؛ سفيرة الإمام الحجّة عليه السلام:

كانت السيّدة حكيمة عليها السلام؛ بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام عميقة الصلة ودائمة الارتباط بالإمام المهدي عليه السلام، وهي قد أقسمت بأنّها تراه صباحاً ومساءً، ويجيب على أسئلتها.. وهي القائلة بهذا الصدد:

«**والله إنّي لأراه صباحاً ومساءً، وإنّه لينبّئني عمّا تسألون عنه فأخبركم، ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به، وإنّه ليردّ عليّ الأمر؛ فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ، وأمرني أن أخبرك بالحقّ..**

قال محمد بن عبد الله: **فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطّلع عليها أحد إلّا الله عزّوجلّ، فعلمتُ أنّ ذلك صدق وعدل من الله عزّوجلّ، لأنّ الله عزّوجلّ قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه**» [كمال الدين، ابن بابويه، ج ١، ص ٤٢٨ - ٤٢٩].

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

أنّ التأمّل – البسيط – في هذه الرواية يكشف عن أنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كان لها نوع سفارة ونيابة خاصّة من جهة الإمام المهدي عليه السلام.. وكانت هذه السفارة بحيث تتشرف بلقائها الإمام صباحاً ومساءً، وتتلقّى الإجابات من جهته المقدّسة، فيأمرها بما يأمرها.. إنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت في الواقع سفيرة ونائباً خاصّاً لمولانا إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف منذ بداية الغيبة القصيرة..

وكتب العلّامة المجلسي بهذا الصدد:

«وكانت أُمّ القائم عندها، وكانت حاضرةً عند ولادته، وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمّد العسكري عليه السلام، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته» [بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص٩٩].

أمّا معنى النيابة الخاصّة لها، وعلاقتها بالنائب الخاصّ للإمام، أي: عثمان العمري.. فيحتمل فيها أنّه عليه السلام كان يمهّد لتثبت سفارة سفرائه المستقبلين.. كما يحتمل أيضاً أنّه كما يلزم – في مطلع الغيبة الصغرى – اتّخاذ خطوات أكثر لتنوير أذهان الشيعة فيما يرتبط بحدوث الغيبة القصيرة.. ولا شكّ في أنّ أشخاصاً كالسيّدة حكيمة عليها السلام كانوا قادرين – لما تتوفّر فيهم وفيها من المؤهّلات – على الإيضاح والاستدلال التامّ لمخاطبيهم من الشيعة بخصوص الغيبة المهدويّة.. هذا بالإضافة إلى أنّ ما تمتلكه السيّدة حكيمة عليها السلام يفوق ما لدى سائر النوّاب بخصوص الإمام الحجّة عليه السلام.. وكما مضت الإشارة إليه، فإنّ بعض النوّاب كانوا ينقلون الرواية عن السيّدة حكيمة عليها السلام فيما يرتبط السيّدة نرجس عليها السلام [المجلسي، ج ٥١، ص ١٦] لا سيّما وأنّ السيّدة حكيمة عليها السلام كانت المطّلعة تماماً وبدقّة بالغة على أحوال السيّدة نرجس عليها السلام وكيف تمّت ولادة الإمام.. وعلى أي حال؛ فإنّه ليس ثمّ منافاة بين السفارة الخاصّة للسيّدة حكيمة عليها السلام عن الإمام المهدي الغائب عجّل الله تعالى ظهوره المبارك، وبين سفارة السفراء الخاصّين، بل إنّ سفارة هذه السيّدة – وبالنظر إلى تلك الظروف الحرجة والقاسية وأحوال الشيعة والأوضاع السياسيّة والأمنيّة لهم.. كانت أمراً ضروريّاً للغاية..

٦– ٩: وفاة ومدفن السيّدة حكيمة عليها السلام:

ليس معلوماً على وجه الدقّة السنة أو المدينة التي توفّيت فيها هذه السيّدة الجليلة. وكتب

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

المرحوم المجلسي عن موضع دفنها: في سامراء قبر منسوب إلى السيّدة حكيمة عليها السلام.

ويبدو أنّ من سبق المجلسي – حسب الظاهر – لم يكتبوا و لم ينسبوا إليها هذه النسبة أو لم يؤيّدوها.. ومدفنها عليها السلام وإن احتمل أن يكون في سامرّاء، إلّا أنّه لا شاهد بين أيدينا على هذا المدّعى، كما لا يمكن إثباته، بل إنّ بعض الروايات تشير إلى أنّها قد كانت في المدينة بعد سنتين من استشهاد الإمام العسكري عليه السلام في سامرّاء... [المجلسي، ج ٥١، ص ٣٦٤].

ويشير البحث والتحقيق في الظروف والأوضاع السياسيّة والأمنيّة الحاكمة في مدينة سامرّاء وإجراءات السلطة الحاكمة آنذاك بخصوص أهل بيت الإمام العسكري عليه السلام إلى أنّ هذه المدينة لم تعد مناسبة لإقامة السيّدة حكيمة عليها السلام فيها.. لا سيّما وأنّ عمّال وشرطة الحاكم العبّاسي أوغلوا في تفتيشهم الجواري والنساء اللاتي كنّ موضع اتّهام واحتمال أنّ الواحدة منهنّ أُمٌّ للإمام الحجّة عليه السلام.. كما كانت السلطة إذ ذاك متشدّدة في تهديد من لديها معلومات عن ولادة الإمام أو محل اختفائه.. ومن هنا؛ كان الأنسب للسيّدة حكيمة عليها السلام أن تهجر سامرّاء وتتوجّه إلى مدينة جدّها الأكرم صلوات الله عليه وآله.. لتبتعد وتنأى بنفسها عن عاصمة العبّاسيّين الظالمين، ولتصون نفسها عن أذى عمّالهم وجواسيسهم [التستري، ج ١٢، ص ٢٣٨ – ٢٣٩].

مصادر البحث

١- ابن الأثير، علي بن محمّد (١٣٨٦ق)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر.

٢- ابن بابويه، محمد بن علي (١٣٩٥ق)، كمال الدين و تمام النعمة، طهران، دار الكتب الإسلاميّة.

٣- الأردبيلي، محمّد بن علي، جامع الرواة.

٤- التستري، محمّد تقي (١٤١٥ق)، قاموس الرجال، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي.

٥- الحسيني، علي (١٣٨٥ق)، رواق عصمت، قم، انتشارات زائر، ط أولى.

٦- الخوئي، أبو القاسم (١٤٠٩ق)، معجم رجال الحديث، قم، انتشارات مدينة العلم.

٧- الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد (١٤١٣ق)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٨- الطوسي، محمّد بن حسن (١٤١١ق)، كتاب الغيبة، قم، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة.

٩- الطبري، محمّد بن جرير (١٨٧٩م)، تاريخ الرسسل و الملوك، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

١٠ – فريق مؤلفين (١٤٢٢ق)، أعلام الهداية، قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

١١- القزويني، فضل علي آقا (١٣٨٥ش)، الهداية المرضيّة إلى حضرة الرضويّة، مطبوع ضمن مجموعة رسائل، قم، انتشارات زائر.
١٢- القمي، عبّاس (١٣٨٣ق)، منتهى الآمال، تحقيق: صادق حسن زاده، قم، انتشارات مؤمنين.
١٣- الكليني، محمّد بن يعقوب (١٤٠١ق)، الكافي، بيروت، دار صعب.
١٤ - المجلسي، محمد باقر (١٣٩٢ق)، بحار الأنوار، طهران، المكتبة الإسلاميّة.
١٥- المحلّاتي، ذبيح الله (١٣٨٠)، رياحين الشريعة، طهران، دار الكتب الإسلاميّة.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]